المحاضرة الثانية: النقد الأسلوبي

1-مقدمة:

لقد ظهرت العديد من المناهج النقدية التي خرجت من عباءة الدرس اللساني الحديث، وكانت تحمل شعار "النص، الانطلاق منه والعودة إليه"، والأسلوبية واحدة من هذه المناهج التي كانت تستهدف لغة النص في حد ذاتها، وبمعزل عن سياقاتها الخارجية، ذلك أن اللغة هي المكون الجوهري للأثر الأدبي، وعليها يرتكز التحليل الأسلوبي للنصوص، وتربط الأسلوبية صلات قوية بغيرها من العلوم الأخرى، ومن ظواهرها المشهورة: الانحراف والاختيار، وهما خاصيتان تضفيان على النص جمالية خاصة .

2- في المفهوم اللغوي:

بالعودة إلى المعاجم اللغوية العربية نجد أن الدلالة اللغوية لكلمة أسلوب تكاد تتفق على المذهب والطريقة التي يتفرد بها شخص عن غيره .

أما عن الدلالة في المعاجم الغربية، فلا تكاد عن نظيرتها في الثقافة العربية، فهي الطريقة التي يستعملها المتكلم أو التي يعبر بها عما يريد، إذ لا يكفي أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال بل يجب أن يقول كما ينبغي.

3- في الدلالة الاصطلاحية:

يمكن الإشارة بداية إلى تعدد المفاهيم وكثرتها حول الأسلوب والأسلوبية، ولعل ذلك راجع بالأساس إلى تعدد المنطلقات الفكرية والثقافية للمشتغلين في هذا العلم، ويبقى تحديد الكاتب الفرنسي (بوفون) الذي ربط الأسلوب بالشخص هو أبرز هذه التعريفات، حيث يقول: (الأسلوب هو الرجل)، فكما الناس مختلفون في أصواتهم ونبراتهم وانفعالاتهم،

فكذلك هو الأسلوب عند المبدعين، في إشارة إلى ربط الأسلوب بالمبدع، "ويرى ريفاتير أنه إذا كانت مهمة عالم اللغة تنحصر في الإمساك بجميع ملامح القول دون استثناء فإن دارس الأسلوب ينبغي له أن يعتد فحسب بتلك الملامح التي تنقل المقاصد الواعية للمؤلف، مما لا يعني أن وعي المؤلف يشمل كل ملامح القول. وغالبا ما يستحيل التعرف على هذه المقاصد دون تحليل الرسالة مما يمكن أن يؤدي إلى حلقة مفرغة لولا أن هذه المقاصد ربما تتضح بإجراءات أخرى، مثل التحليل الفيلولوجي أو تصريح المؤلف بها وغير ذلك من الإشارات. كما يرى أن هذا التمييز بين الاختيارات الواعية واللا شعورية لا يفيد إلا في حالة دراسة كيفية توليد الأسلوب، إما في دراسة ظاهرة الأسلوب نفسها وتأثيرا على توجه إليه، فإن جدواه ضئيلة للغاية، إذ لا يمكن الوصول فيه حينئذ إلى نتائج حاسمة ."

أما بالنسبة لمفهوم "الأسلوبية" فكثير من الدارسين جمعوا بينه وبين الأسلوب في الدلالة واعتبروهما مترادفين، إلا أن الباحث فاروق أحمد الهزايمة يقيم فوارق بينهما في دراسته القيمة "الأسلوبية نشأة وتطورا وتطبيقا"، إذ يعرف الأسلوبية بأنها البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب، أي أنها علم دراسة الأسلوب.

4–الخلفية المعرفية للنقد الأسلوبي :

أ_ التراث البلاغي :

يشير كثير من الباحثين إلى وجود بذور أسلوبية في التراث البلاغي العربي، ونذكر –على سبيل التمثيل لا الحصر– "تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة" و "نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني" و"دراسات السكاكي" وغيرها، وقد كانت كلها تشتغل على لغة النص، تنطلق منه لتعود إليه. والملاحظ من خلال الرصد المركز لمفهوم الأسلوب في التراث البلاغي العربي القديم أن هناك تبايناً بين الأطروحات التي تبناها كل علم من هؤلاء الأعلام الثلاثة، فابن طباطبا ربط

مفهوم الأسلوب بصفة مناسبة الكلام بعضه لبعض، باعتبار أن الأسلوب داخل النص الشعري يتحقق إذا كملت له المعاني، وانسجمت الأبيات ووفق بينها بأبيات تكون نظاماً لها وسلكاً لما تشتت منها، أما الجرجاني فقد أخضع الكلام لعلم النحو، حتى يحقق صفة النظم لأن النظم هو أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، بينما نجد أن ابن خلدون جعل الأسلوب صورة ذهنية مهمتها مطابقة التراكيب المنتظمة على التركيب الخاص، لأن الصناعة الشعرية التي هي بمعنى الأسلوب ترجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص. لكن رغم هذا التباين في الأطروحات التي تبناها كل علم في مقاربته لمفهوم الأسلوب فإننا نجد أنهم قد أجمعوا على أن الأسلوب توفيق بين أطراف الكلام، سواء أكان ذلك بالملاءمة في الأسلوب أم بتوخي معاني النحو".

ب_ اللسانيات الحديثة :

لقد أرسى قواعدها دوسوسير، بعد أن أعاد الاعتبار للعلامة اللغوية ودورها الوظيفي في بناء النص، من خلال تناول اللغة باعتبارها نسقا يركز على اللحظة الراهنة دون الإحالة إلى الخلفية الزمانية الماضية، وهي التربة الخصبة التي نمت وتطورت فيها الأسلوبية، يقول الهزايمة: "انطلقت الأسلوبية على يد رائدها دي سوسير من مقولة مفادها أن اللغة ما هي إلا نظام علائقي فريد، ومن ثم فإن أية وحدة لغوية للصوت أو للكلمة لا تكتسب قيمتها ووجودها إلا من خلال علاقاتها بالوحدات الأخرى داخل النظام اللغوي المعين، وبالتالي فإن النظرة المنهجية إلى هذه الوحدات يجب أن تتمثل في كونها نقاطا في نظام، بينها شبكة من علاقات التقابل والاختلاف (...) وفي هذا الإطار اللساني الذي أسس له دي سوسير نشأت أسلوبية بالي، والذي يعد حسب آراء النقاد المؤسس الحقيقي للأسلوبية، ومع أنه تتلمذ على

يد دي سوسير لكنه تجاوز ما جاء به أستاذه خاصة تركيزه الجوهري والأساسي على العناصر الوجدانية للغة."

5–بين الأسلوبية والبلاغة :

تجمعهما علاقة وثيقة، إذ يشتغل كليهما في حقل الأدب وفي دائرة النص الأدبي، ويستهدفان معا جمالية اللغة، غير أن زاوية النظر إلى هذا الأثر الأدبي تتباين بين الأسلوبي والبلاغي، فالأول يتعامل مع النص بعد جاهزيته، غير مرتبط بقواعد أو قوانين مسبقة، ولا مقدم لأحكام قيمية، عكس الثاني (البلاغي) الذي يعد رأيه جاهزا سلفا قبل وجود العمل الأدبي، ووتلخص مهمته في التصحيح والتقويم حتى يصل الإبداع مرحلة التأثير في المتلقين، "وفي تعريف البلاغة والأسلوبية تقارب وتفارق، فالبلاغة كما حددها البلاغيون تعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهذا المفهوم يلتقي مع وجهة نظر الدرس اللساني فيما يسمى بالموقف، بل إن عبارة مقتضى الحال قد لا تختلف كثيرا عن الموقف، وبخاصة إذا عرفنا أن المقصود بكلمة الموقف مراعاة الطريقة المناسبة للتعبير، ويدخل في الطريقة المناسبة اعتبارات دلالية كثيرة فوق الدلالة المباشرة أو الأصلية للعبارة، دلالات تتمثل في طريقة النطق واختيار الكلمات والتراكيب، ودلالات يأنس إليها السامعون ويفتقدونها إذا سبق لهم القول مغسولا منها، مقتصرا على أداء المعنى المجرد أو محمولا بدلالات أخرى مناقضة للموقف. "

6–خاتمة:

انطلاقا مما سبق، لا قطيعة بين الدرسين البلاغي والأسلوبي، بل يعد التراث البلاغي ركيزة أساسية ودعامة هامة للدرس الأسلوبي الحديث.

7–مراجع مفيدة للتوسع في محاور المحاضرة :

_فاروق أحمد الهزايمة: الأسلوبية، نشأة وتطورا وتطبيقا .

_عزام محمد: الأسلوبية منهجا نقديا.

_منذر عياشي: مقالات في الأسلوبية.

_السيد شفيع: الاتجاه الأسلوبي.

_جون كوهين: بنية اللغة الشعرية.

_عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب.

https://journals.ekb.eg/article_30686.html#